



ملفات

حرب أكتوبر: ٥٢ عاماً على الانتصار العظيم

أكتوبر 2025

مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية
Al-Ahram Center For Political And Strategic Studies

Website: <https://acpss.ahram.org.eg/>



محرر الملف
د. محمد عباس ناجي

رئيس مجلس إدارة مؤسسة الأهرام

د. محمد فايز فرحات

مدير المركز

د. أيمن السيد عبد الوهاب

رئيس تحرير الموقع الإلكتروني

د. محمد عباس ناجي

المشاركون

لواء أ.ح. دكتور / محمد قشقوش

لواء / د. وائل ربيع

د. أيمن السيد عبد الوهاب

د. محمد عز العرب

أ.م. د. مريم وحيد

الإخراج الفني

م. مصطفى علوان

الافتتاحية

بانتصار أكتوبر العظيم، عبر الجيش المصري قناة السويس، ومعه عبرت مصر من مرحلة إلى أخرى. من مرحلة حاولت فيها أطراف عديدة كسر عزيمتها وإجبارها على القبول بالأمر الواقع الذي حاولت إسرائيل فرضه عبر التوسع في احتلال الأراضي بالقوة، إلى مرحلة أثبتت فيها مصر أنها لا تقبل هذه السياسة، وأنها بالعلم والتماسك والتضامن المجتمعي وتسخير قدرات الدولة من أجل تحقيق الهدف الأسمى والأهم، وهو تحرير الأرض، تستطيع رفع كلفة تلك السياسة بالشكل الذي لا تستطيع إسرائيل تحمله، وتدمير أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر.

كان الأساس في حرب أكتوبر هو استعادة الكرامة وتحويل القدرة على الصمود إلى طاقة جبارة انعكست في قدرة مصر - وسوريا - على الإعداد للحرب من دون لفت انتباه العدو المتربص وداعميه ومواجهة الصعوبات الفنية والعملياتية التي كانت قائمة بل والتغلب عليها ببراعة وعبقريّة سجلها التاريخ بأحرف من نور لأصحابها.

وكانت خطة الخداع الاستراتيجي واختيار توقيت الحرب من أبرز الأمثلة التي أكدت كفاءة وجدارة العسكرية المصرية. كما كانت الاستعانة بخبرات أكاديمية وعلمية، مثل مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، فضلاً عن استثمار القدرات الثقافية والفنية دليلاً على قدرة مصر على مواجهة التحدي وتحقيق ما كان متصوراً أنه مستحيل.

كان الانتصار أيضاً بداية عصر جديد سعت مصر خلاله إلى الاهتمام بعملية التنمية ودعم الاستقرار. لكن مصر في الوقت نفسه لم تغفل أبداً أن قدراتها العسكرية هي صمام الأمان ضد كل من تسول له نفسه محاولة تهديد أمنها واستقرارها. وقد أثبتت التطورات التي طرأت على ساحة منطقة الشرق الأوسط خلال الأعوام الأخيرة، ولا سيما في مرحلة ما بعد تنفيذ عملية «طوفان الأقصى»، في 7 أكتوبر 2023، وما تلاها من اندلاع الحرب الإسرائيلية في قطاع غزة وامتدادها إلى لبنان وسوريا واليمن وإيران، رجاحة ورشادة السياسة التي اتبعتها مصر في هذا الصدد.

فقد اعتمدت هذه السياسة على أن حماية أمن واستقرار مصر يرتبط في الأساس ليس فقط بتعزيز القدرات العسكرية، بل أيضاً بتنوع مصادر السلاح، للدرجة التي أدت إلى ترسيخ استراتيجية الردع المصرية ضد غطرسة القوة التي تمارسها بعض الأطراف، متصورة أنها تستطيع بذلك فرض ترتيبات أمنية واستراتيجية جديدة في منطقة الشرق الأوسط، على نحو لن يكتب له النجاح في ظل الدور الحيوي الذي تقوم به مصر والذي وقفت من خلاله عقبة أساسية أمام كل مخططات الشر في المنطقة.

د. محمد عباس ناجي



خطة الخداع الاستراتيجي وذكري نصر أكتوبر ١٩٧٣

لواء أ.ح. دكتور / محمد قشقوش

مستشار الأكاديمية العسكرية للدراسات العليا والاستراتيجية

كل من: العدو، وقواتنا، وأرض المعركة - مسرح الحرب برأ وبحراً وجواً - وحالة الطقس والمناخ والظواهر الجوية العامة، وتوقيت بدء الحرب، مع إمكانية إضافة موقف القوات الصديقة، وكان ذلك هاماً وواضحاً في حرب ١٩٧٣. وكان من الأهمية بمكان حل معضلة اختيار توقيت بدء الحرب التي مهدت للإطار العملياتي وخطه الخداع الاستراتيجي التي أفضت إلى المفاجأة الكاملة.

مبقرية اختيار توقيت بدء الحرب

قد يبدو للوهلة الأولى أنه عمل سهل، ولكنه كان عكس ذلك، حيث وصفه المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية قائلاً: «كان تحديد يوم وتوقيت الهجوم عملاً علمياً على مستوى رفيع وسوف يأخذ حقه من التقدير ويدخل التاريخ العلمي للحروب كنموذج للدقة والبحث الأمين». وكان ضمن (كشكول الجمسي) كما أسماه الرئيس أنور السادات وكان بخط اليد، حيث كُتب في كراسة مدرسية لابنة العقيد صلاح فهمي نحلة المسئول عن هذه المهمة في هيئة عمليات القوات المسلحة المصرية.

بعد التنسيق مع جهات عدة منها الأرصاد والمساحة وهيئة قناة السويس ودراسة وضعية الشمس والقمر وأطواره وساعات الليل والنهار والأعياد الدينية للجانبين وتوقيت هبوط الجليد على الجولان وإجراء مناقشات مع بعض مراكز الأبحاث والدراسات.. إلخ، كان الاختيار للشهر - والأسبوع - واليوم - والساعة على النحو الآتي:

شهر أكتوبر: تم اختياره لأسباب عديدة، منها أنه يحل قبل هبوط الجليد على الجولان، ويواكب معظم شهر رمضان كدافع روحي، وبه العديد من الأعياد اليهودية وأهمها عيد الغفران (يوم كيور).

بدأ التخطيط الفعلي لحرب رمضان أكتوبر المجيدة، بمجرد نهاية حرب عام ١٩٦٧، والتي كانت هزيمة بلا حرب فيما عرف بـ«النكسة»، حيث بدأ الاستنفار العسكري والشعبي والسياسي طبقاً لما أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر بأن «ما أخذ بالقوة لا يُسترد بغير القوة»، وواكب هذا التخطيط القتالي وحتى صباح يوم ٦ أكتوبر، خطة موازية هامة للخداع الاستراتيجي في كافة المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية داخلياً وخارجياً، حيث كان النجاح الكبير الذي حققته هذه الخطة أول مفاتيح النصر.

ظلت القيادة الإسرائيلية السياسية والعسكرية غير متيقنة من بدء الحرب، حتى مؤتمرهم مساء يوم ٤ أكتوبر، والذي قدم فيه مدير المخابرات العسكرية (أمان) الجنرال الياهو زعيرا، تقريره الذي جاء فيه أن ما يحدث على قناة السويس شبيه بمناوره شهر مايو ١٩٧٣ بعد مراقبته للجبهة ومتابعاته التنصتية المتقدمة، ولكن المجلس أوصى برفع درجة الجاهزية القتالية لأجزاء من القوات الجوية احترازياً.

لكن الموقف اختلف بوصول رئيس المخابرات العامة (الموساد) تسفى زامير من لندن مساء اليوم التالي ٥ أكتوبر، ليؤكد توقعه ببدء الحرب مساء اليوم التالي ٦ أكتوبر وبدء التعبئة العامة للجيش الإسرائيلي، الذي أخذ على غرة بمفاجئة كاملة ومدوية، حيث بدأت الحرب ظهراً، بعد أن سبق السيف العزل.. وهنا يمكننا رصد أهم ما تضمنته خطة الخداع الاستراتيجي، بعد ملمح للإطار العملياتي كالاتي:

الإطار العملياتي كمدخل لخطة الخداع الاستراتيجي

تبنى خطط العمليات عموماً في المدارس العسكرية الشرقية والغربية على أربعة محاور رئيسية لدراسة

أولاً: على المستوى السياسي المصري

١- قبول زيارة وزير الدفاع الروماني لمصر في ٨ أكتوبر!

وقد تم ذلك بناءً على طلبه في أول أكتوبر، حيث تم إرسال برنامج مقترح للزيارة، وفي يوم الحرب - ٦ أكتوبر - تم إرسال اعتذار وتم تفهم الموقف، وقد عُرف أنه كان يحمل مقترحات رومانية للوساطة بين مصر وإسرائيل، ولكن ذلك جاء في الوقت الضائع نظراً لإهدار إسرائيل لفرص السلام.

٢- إرسال ممثل للرئيس السادات إلى الولايات المتحدة للتباحث:

وقد تم ذلك بناءً على طلب الولايات المتحدة، حيث تم إيفاد وزير الخارجية المصري دكتور محمد حسن الزيات، وتم التنسيق مساء يوم ٥ أكتوبر على ذلك بين نائب وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر والسفير المصري في واشنطن أشرف غربال، وقبل أن يرد نائب كيسنجر في التاسعة صباح اليوم التالي ٦ أكتوبر بتوقيت واشنطن - الثالثة ظهراً بتوقيت القاهرة - كانت الحرب قد بدأت بالفعل!. وبالطبع، فإن ذلك يعيد إلى الأذهان استعداد الولايات المتحدة برئاسة الرئيس جونسون لاستقبال السيد زكريا محيي الدين مندوباً عن الرئيس عبد الناصر للتباحث، حيث تحدد لقاء يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ بينما اندلعت الحرب في ٥ يونيو، كجزء من عملية خداع مصر.

الأسبوع الأول: في الأسبوع الأول، كان الجزء الأول من الليل مقمراً بحيث كان مناسباً لتركيب الكباري على قناة السويس مع مواكبة أقل مد وجزر لأن القمر لم يكتمل بدرًا، في حين أن الجزء الثاني كان مظلمًا وبالتالي مناسباً لعبور الدبابات وإخفاء المعابر والقوات العابرة عن طيران العدو بقدر ما أمكن.

يوم ٦ أكتوبر: وافق ٦ أكتوبر يوم (كيبور) حيث تتوقف الحياة تماماً في إسرائيل، وهو اليوم الوحيد على مدار السنة الذي يتوقف فيه بث الإذاعة والتلفزيون، عدا إذاعة الجيش التي تبث دقائق كل ساعتين، مما أربك وأعاق وأخر خطة التعبئة الشاملة، عصب خطة الدفاع الإسرائيلية (من لجنة أجراءات- التقصير- انتصارات أكتوبر في الوثائق الإسرائيلية، الجزء الثاني، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦)

الساعة ٢ ظهراً: أتاح اختيار الساعة ٢ ظهراً وقتاً كافياً لعبور الأنفاق الأولى للقناة نهاراً بالقوارب والمعديات، مع توجيه الضربة الجوية وإمكانية تكرارها قبل آخر ضوء، وإدارة نيران المدفعية قبل بدء الهجوم نهاراً، وكذلك تجهيز مواقع مناسبة للقوات شرق القناة استعداداً لصد هجمات دبابات العدو القريبة، حيث ستكون الشمس في أعين قوات العدو بينما ستكون في ظهر قواتنا.

وهكذا كانت تلك الدراسة الهامة والدقيقة وخاصة في اختيار اليوم والساعة، حيث أصبحت جزءاً هاماً من خطة الخداع الاستراتيجي على المستويات المختلفة كما سيلي:

الاشتباك بوساطة أمريكية.

٣- الاجتماع السري لمجلس الدفاع الوطني المصري والسوري المشترك بالإسكندرية:

ثانياً: على المستوى الاقتصادي

١- تأخير إغلاق المجال الجوي فوق مصر حتى الحظت الأخيرة:

وقد سمح ذلك للطيران الدولي بتغيير مساراته إلى مسارات بديلة قبل الدخول إلى الأجواء المصرية كإجراء تأميني دولي احترازي، نظراً لإعلان مصر تلك المنطقة منطقة حرب حتى إشعار آخر، وقد تولى ذلك وزارة الطيران المدني، وزيادة في احترازها- خارج خطة الخداع- عملت على توزيع طائراتها على عدة مطارات لتفادي التكدس حال حدوث هجوم جوي معاد، ورغم أن ذلك يبدو منطقيًا، فقد كان كفيلاً بكشف خطة الخداع، وتم تدارك الموقف دون أن تشعر إسرائيل أو حلفاؤها بما تم.

٢- تأخير إطفاء شعلات حقول البترول والغاز لآخر لحظة:

وتم ذلك في حقول بترول وغاز خليج السويس وشمال البحر الأحمر المواجهة للعدو عبر خليج السويس ومنطقة شرم الشيخ حتى لا تكون قرينة في حالة الإطفاء الجماعي المبكر.

٣- استيراد ماكينات ضخ المياه لفتح السواتر تحت غطاء مشروعات زراعية:

وتم ذلك من بريطانيا ثم من ألمانيا تحت ستار مشروع زراعي كبير، نظراً لاستفسار الجانب البائع عن كثرة العدد واستعجال التوريد، وتم بواسطة ضباط من الهيئة الهندسية بجوازات سفر ووظائف من وزارتي الزراعة والرى.

تم عقده في قيادة القوات البحرية في رأس التين، من ٢٢-٢٣ أغسطس ٧٣ وحضر الوفد السوري عدا الرئيس الأسد على الطيران الروسي-أيروفلوت- بصفات مدنية وعادوا متفرقين في التوقيتات والوسائل.

٤- الفريق الشاذلي يخفي توقيت الحرب عن قادة الدول العربية الداعمة:

وتم ذلك خلال جولته التنسيقية بصفته رئيس أركان مجلس الدفاع العربي المشترك للجامعة العربية لمعظم الدول العربية التي ستشارك بالدعم العسكري وهي بتسلسل الزيارات: ليبيا- الجزائر- المغرب- السعودية- العراق، وعند اندلاع الحرب وخلال الاتصالات الأولى، تم الاعتذار لرؤساء وملوك تلك الدول الذين قدروا هذا الموقف، وإن علق بعضهم بأنه أفقدهم التحرك المبكر الطويل، ولكن أزمته التحركات كانت ستتعارض مع تحقيق المفاجأة.

٥- التنسيق الاستراتيجي لإغلاق باب المنذب:

وتم مع باكستان تحت ستار إجراء عميرات لمدمرات مصرية في كراتشي، ومع السودان لزيارة بور سودان، ومع اليمن الشمالي- صنعاء- للتمركز وإغلاق المضيق شمال وجنوب جزيرة بريم، مع فتح الاتصالات اللاسلكية خلال الإبحار لتلتقطها إسرائيل!! وتم الإغلاق بعدد ٢ مدمرة وغواصة وفرقاطة، حيث أجبرت ناقلات البترول الإسرائيلية القادمة من إيران (المصدر الوحيد) بالقوة على التوقف لمدة ١٠٦ يوم حتى ١٩ يناير ١٩٧٤ لفض

ثالثاً: على المستوى الاجتماعي والإعلامي

ساهم الإعلام بشكل فعال بالتنسيق مع إعلام القوات المسلحة، في التركيز على المراد توصيله إلى العدو مثل إعلانات الحج والعمرة في بداية رمضان للضباط والمتطوعين وأسراهم، والتركيز على الصحف التي تحصل عليها السفارات الإسرائيلية في أوروبا وخاصة لندن وباريس، وكذلك صور ميدانية عن المناورة الأخيرة، حيث نقل على ألسنة قادتها أنها بدأت في أول أكتوبر وستنتهي في السابع منه، أي بعد ٦ أكتوبر.

وعلى المستوى الاجتماعي والشعبي، كان هناك نشاط لافت للنظر لا تخطئه العين المتابعة أو المترقبة بالفرحة الأسرية بتسريح أبنائهم من الخدمة العسكرية في الظروف المتوترة منذ سبتمبر خاصة على الجبهة السورية ورد الفعل على الجبهة المصرية، وكذلك الاحتفاء بمن عادوا من الاستدعاء التدريبي السنوي الكبير لمناورات الخريف من سلسلة تحرير ١ و٢ و٣.. حتى أكتوبر ٧٣.

رابعاً: على المستوى العسكري

وقد تم بالتدرج من أعلى مستوى لوزارة الحربية إلى مستوى الجندي الذي يصطاد ويسبح في قناة السويس طبقاً لخطة محددة وموقوتة، نتقي منها الآتي:

١- التعبئة والتسريح: تم تعبئة ٥٠ ثم ٧٠ ألف على التوالي بدون إعلام، ثم تسريح ٢٠ ألف بتغطية إعلامية، بما يعني أن القوات المسلحة كسبت ١٠٠ ألف كان معظمهم ممن حضروا حرب ٦٧ وسُرحوا قبل حرب ٧٣ ثم أعيد تعبئتهم لخبرتهم الكبيرة في الحرب والاستنزاف، وكان من سُرح منهم طبقاً لأولويات صحية واجتماعية، مع التوسع في تجنيد الجامعيين ذوي المؤهلات العليا.

٢- التدريب على العبور: تم في مراحل الرئيسية والحاسمة قبل الحرب بما فيها إنشاء الكباري، واستخدام المعديات على الرياحات المشابهة لقناة السويس والبعيدة عنها، مع تجربة إبحار اللواء البرمائي في البحر المتوسط ولمسافة أطول من البحيرات المرة التي سيعبرها وقت الحرب.

٣- تحريك الكباري إلى منطقة القناة: وكانت من أصعب المراحل نظراً لضخامة الكوبري، حيث تم نقله بعد تفكيكه ليلاً وإخفائه مع إعادة بعض الأجزاء المجمعة نهاراً للرصد وهكذا.

٤- إنشاء الكباري الخفيفة والهيكلية: وتم بواسطة هيئة قناة السويس لحمولة ٤ طن لتمتد على أجناب الكباري الثقيلة للتخفيف وخداع العدو أو تشتيت نيرانه أو الإخفاء باستخدام ستائر الدخان.

٥- التخطيط للهجوم على طول مواجهة قناة السويس ظهراً: بمواجهة حوالي ١٧٠ كم (بما فيها جزء من شمال خليج السويس) وبقوات النسق الأول المحتل لغرب القناة مباشرة والدارس للعدو، دون إعادة تجميع أو تقليل المواجهات لقطاعات الاختراق في دفاعات العدو، وهو تخطيط مصري عكس قوانين القتال التي تكلف الأنساق الأولى بتثبيت وإشغال العدو، لحين تقدم القوات الرئيسية القائمة بالهجوم من الخلف ومن خلال قوات النسق الأول، حيث تمت مفاجأة العدو وتشتيت جهوده القتالية على مواجهة كبيرة، وأصبحت كلها قطاعات اختراق.

كما تم ذلك ظهراً عكس كل المتبع في توقيتات الحروب التي غالباً ما تكون عند (أول ضوء) بعد الفجر، أو (آخر ضوء) بعد الغروب.. هذا بالإضافة إلى نقاط فرعية كثيرة، لعل أغربها وأندرها هو استخدام اللغة النوبية في الاتصالات الحرجة كشفرة مستحدثة عجزت أجهزة فك الشفرات الأمريكية فائقة التكنولوجيا عن حلها!!

محصلة التخطيط والتنفيذ للمفاجأة الاستراتيجية

للطائرات ضد ناقلات الجند المدرعة للعدو في الثغرة والتي كبّدتهم خسائر كبيرة، أو استخدام اللغة النوبية كشفرة مستحيلة الحل أو ما يستجد من أسلحة ومعدات تكنولوجية.

في الختام، سيقى انتصار مصر جيشاً وشعباً في حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة، شعلة مضيئة في التاريخ المصري الحديث والمعاصر. وتم ذلك بحسن الإعداد ودقة التخطيط وبراعة التنفيذ أخذاً بالأسباب العلمية واستلهم روح النصر، حيث تم التغلب على العدو ومن خلفه الأكثر تقدماً نوعياً وتكنولوجياً، لتبنى مصر على هذا النصر العسكري المؤزر، نصراً سياسياً بتحقيق السلام الذي ما كان ليتحقق لولا نصر رمضان أكتوبر المجيد، الذي يجب أن نستلهم منه الانتصارات في ظل التحديات والتهديدات التي تحيط بالوطن لدعم أمنه القومي، ولكى نبني مصر المستقبل الآمنة القوية الطامحة إلى غد أفضل بإذن الله.

كانت المفاجأة دقيقة ومحكمة وحققت النتيجة المرجوة على المستوى الإسرائيلي السياسي والعسكري وعلى المستوى العالمي بما فيه الولايات المتحدة بل والاتحاد السوفيتي أيضاً، وتعتبر آخر مفاجأة استراتيجية يصعب أن تتكرر نظراً للتقدم التكنولوجي في مجالات الاتصالات والتنصت وفك الشفرات والأقمار الاصطناعية على مدار الساعة. ونتيجة للثقة الإسرائيلية المفرطة، لم ينتبهوا إلى التسفير المفاجئ لأسر بعض الخبراء السوفيت من القاهرة ودمشق يوم ٥ أكتوبر على طائرات إيرو فلوت السوفيتية القادمة لتلك المهمة!! وكان هذا من حسن الحظ لتكتمل خطة الخداع بأيدي السوفيت أنفسهم.

وتكررت المفاجآت التكتيكية في ميدان المعركة، سواء بفكرة جديدة (خرطوم المياه) أو سلاح جديد مثل مضادات الدبابات - المألوتكا الروسي - أو استخدام غير تقليدي مثل المدافع المصرية المضادة





انتصارات أكتوبر ٧٣: من أقوال القادة العسكريين الإسرائيليين

لواء / د. وائل ربيع

الخبير في الأمن الإقليمي والمتخصص في الشأن الإسرائيلي

وفي الندوة نفسها، قال الجنرال الإسرائيلي يشيعيا جافيتش: «انتهت الحرب دون أن تتمكن من كسر الجيوش العربية، ولم نحرز أى انتصارات، لقد أثبت العرب أنهم قادرون على الخروج إلى الحرب والقتال بكفاءة».

ووصف الجنرال شموئيل جونين قائد المنطقة الجنوبية وقائد جبهة سيناء في الحرب، هذه الحرب بأنها صعبة، ومعارك المدرعات بها كانت قاسية، مؤكداً أن معارك الجو فيها مريرة، وأن «الجندي المصري كان يتقدم في موجات تلو موجات، ورُغم إطلاق القوات الإسرائيلية النار عليه؛ فإنه يواصل تقدّمه ويحيل ما حوله إلى جحيم ويظل يتقدم».

من كل ما سبق توصف حرب أكتوبر بأنها حرب محدودة، ولكنها كثيفة، وحرب طويلة ولكن بداياتها خاطفة، وحرب طيران حسمتها الصواريخ - وحرب دبابات انتصر فيها المشاة - وحرب التقنية المتقدمة ضد القوى البشرية - وهى أول حرب هجومية يكون التفوق فيها للمدافع.

تجديد المشكلات

لقد واجه المخطط الاستراتيجي المصري العديد من المشكلات أثناء إعداده للعملية الهجومية، كان عليه دراسة نقاط القوة ونقاط الضعف في دفاعات العدو - إعادة تسليح القوات المسلحة بكل ما هو ضروري للحرب - التدريب الجيد على كافة المستويات وتنفيذ مناورات سنوية - تنفيذ خطة خداع استراتيجي بإشراك جميع مؤسسات الدولة لإخفاء نوايانا الهجومية عن العدو وتحقيق المفاجأة، وكان من أبرز المشاكل التي واجهت التخطيط أثناء مرحلة الإعداد والتخطيط لحرب أكتوبر ١٩٧٣:

إن حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ هي درة الانتصارات في تاريخ مصر الحديثة وفي تاريخ الأمة العربية بآثرها. حرب استحوذت على براعة التخطيط ودقة التفكير وعزم الرجال وإصرارهم على تحقيق الأهداف. حرب حازت على إعجاب جميع الخبراء والمحللين الاستراتيجيين على اختلاف جنسياتهم وتباين رؤاهم وآرائهم.

غير أن ما يتوج رؤوسنا ويظيل هاماتنا ويزيدنا ثقة بالنفس هو ما شهد به قادة الجيش الإسرائيلي المنهزمون والعديد من خبراء العلوم الاستراتيجية العسكرية بالعالم، حيث أماطت تحقيقات لجنة أبحاث التي شكلت في ١٧ نوفمبر ١٩٧٣ للتحقيق في أسباب هزيمة الجيش الإسرائيلي في حرب «عيد الغفران» كما يطلقون عليها، اللثام عن أسرار فشل الجيش الإسرائيلي في صد هجوم الجيش المصري في أكتوبر ١٩٧٣، وأطلق على هذه اللجنة (لجنة أبحاث) نسبة للقاضي شمعون أبحاث رئيس اللجنة.

مازالت حرب أكتوبر تدرس إلى يومنا هذا في الأكاديميات والمعاهد العسكرية في دول العالم، فالعسكرية المصرية علمت العالم فن الخداع الاستراتيجي والجندي المصري علم جيوش العالم أن العقيدة والإيمان بالهدف هم مفتاح النصر وليس الأسلحة الحديثة هي التي تنتج النصر والأمثلة من التاريخ القديم والحديث كثيرة، فالجندي المصري خلال حرب أكتوبر قام بأعمال بطولية لم يدركها أكبر مخططي الاستراتيجية العسكرية في العالم والأمثلة وقصص البطولة كثيرة.

وفي ندوة عن حرب أكتوبر بالقدس عُقدت يوم ١٦ سبتمبر ١٩٧٤، قال أهارون ياريف مدير المخابرات الإسرائيلية الأسبق: «لا شك أن العرب قد خرجوا من الحرب منتصرين، بينما نحن من ناحية الصورة والإحساس قد خرجنا ممزقين وضعفاء».

أقل من ٦ ساعات عبر إلى الضفة الشرقية لقناة السويس ٨٠ ألف جندي مصري، وأول موجة للعبور كان ٤٠٠٠ جندي يركبون ٧٠٠ قارب ويعبرون القناة تحت ساتر نيران المدفعية، وعبرت ٤٥ كتيبة مشاة بكامل أسلحتها، من خلال ٨٥ ثغرة تم فتحها في الساتر التراي بواسطة مدافع المياه خلال ٥-٧ ساعة وبدأ نصب الكباري لعبور الدبابات والمركبات والمدفعية.

وعلى الرغم من اعتراف الياهو زعيرا مدير المخابرات العسكرية بأن معلومات وصلته تفيد أن المصريين اشتروا ٣٥٠ مضخة مياه تستطيع العمل في وقت واحد لشق ٩٠ منفذاً لشق الساتر التراي، وأصدر كتيب للقوات الإسرائيلية بهذه المعلومات حتى يعرف الجميع كيف سيخترق الساتر التراي لخط بارليف وهو ما حدث بالفعل، إلا أن المفاجأة التي حققتها القوات المصرية وبمسالة الجندي المصري الذي صعد الساتر التراي بزوايته الحادة (٤٥ درجة) وهو يحمل على ظهره قاعدة المدفع الهاون والذي يصل وزنه إلى ٣٠ كيلو جرام، كانت عاملاً محفزاً للنصر وهروب جنود جيش الاحتلال من النقط القوية التي كانوا يتحصنون بها.

المشكلة الثالثة: التفوق العددي للمدركات الإسرائيلية (٣٠٠ دبابة) وإدارة أعمال القتال شرق القناة في مراحلها الأولى سيكون فيها جندي المشاة بمفرده يواجه مدرعات العدو، ولهذا تم تشكيل أطقم قنص دبابات لمصاحبة وحدات المشاة والتوزيع على طرق تقدم دبابات العدو، وقد حقق الجندي المصري معدلات تدمير في الدبابات الإسرائيلية لم يسبق لها مثيل وحول سيناء إلى مقبرة للدبابات الإسرائيلية، (خلال يومى ٦ و٧ أكتوبر تم تدمير ١٦٧ دبابة من إجمالي ٣٠٠ دبابة).

المشكلة الأولى: تحييد طيران العدو الإسرائيلي وتقليص قدرته في التأثير على العملية الهجومية، ومن ثم تم إنشاء حائط صواريخ دفاع جوى لم يشهده العالم من قبل وحقق خسائر كبيرة في طائرات سلاح الجو الإسرائيلي الأحدث في العالم، وقال رئيس الأركان الإسرائيلي الجنرال دافيد اليعازر خلال التحقيق معه في لجنة أبحاث: «إنني أعطيت أوامر لسلاح الجو الإسرائيلي بعدم عبور خط الممرات (المضائق) لتجنب سقوط مزيد من الطائرات، حيث سقط في اليوم الأول من القتال ٧٥ طائرة من أحدث طائراتنا نتيجة كفاء حائط صواريخ الدفاع الجوى المصري»، وبذلك يكون المخطط المصري نجح في تحقيق الهدف الأول وهو تحييد سلاح الجو الإسرائيلي ومنعه من التدخل في أعمال قتال القوات البرية المصرية خلال مرحلة العبور.

المشكلة الثانية: تأمين عملية العبور والتغلب على خط بارليف، حيث أجمع كل الخبراء العسكريين في العالم على أن خط بارليف هو أقوى خط دفاعي في العالم بعد خط ماجينو الفرنسي، وقال عنه موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي أن «المصريين سيحتاجون سلاح المهندسين الأمريكي والروسي لعبور هذا الخط» (بعد حرب أكتوبر قال أنه كان خط مثل قطعة الجبن الهشة)، كما قال رئيس الأركان دافيد اليعازر: «إن خط بارليف سيكون مقبرة للجيش المصري».

كان خط بارليف يتكون من ساتر تراي، يمتد لمسافة ١٦٠ كم بطول القناة وارتفاع من ٢٠ إلى ٢٢ م وبزاوية ميل ٤٥ درجة وبداخل هذا الساتر خزانات نابالم كبيرة موصلة بأنابيب على القناة بحيث يتم ضخها على سطح مياه القناة وإشعال النار بها لمنع عبور أى قوات للقناة، ولكن تم تحييد أنابيب النابالم بواسطة القوات الخاصة المصرية ليلة الهجوم، وفي

على روتين عمل للقوات المصرية بشكل أدى إلى وقوعه في شرك ٦ أكتوبر ٧٣، حيث كان السادات يتلاعب بالقيادة الإسرائيلية وباقتصادهم عن طريق إعطائهم معلومات مضللة كالاتي:

١- كان دائماً ما يصرح في خطاباته بأنه لن يجارب قبل أن يحصل الجيش المصري على الطائرات الروسية من طراز ميج ٢٣ وحتى يتمكن من ضرب العمق الإسرائيلي. وصرح زعيماً في هذا السياق قائلاً: "إننا سألنا أصدقائنا الروس وعرفنا أن هذه الطائرات لن تصل مصر قبل عام ٧٥، وكانت هذه إحدى التقديرات الرئيسية لدى المخابرات الإسرائيلية بأن الجيش المصري لن يجارب قبل عام ٧٥".

٢- المناورات التي كان ينفذها الجيش المصري كل عام (عام ٧١ والذي أطلق عليه عام الحسم - تكرر المناورة عام ٧٢، وتكررت مرة أخرى في مايو ٧٣)، وكان يتم استدعاء الاحتياط الإسرائيلي سواء كلي أو جزئي في كل المناورات السابقة مما كلف إسرائيل في هذا التوقيت في المرة الواحدة من ٢٠-٣٠ مليون دولار مما جعل الكنيست الإسرائيلي يُعنف مدير المخابرات ورئيس الأركان على تقديراتهم الخاطئة والتي كلفت الميزانية ملايين الدولارات، وهو ما جعل زعيماً يتردد في إبلاغ جولدا مائير رئيسة الوزراء بتوقيت الهجوم المصري إلا في الساعة الرابعة فجراً يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وكان جميع أعضاء الكنيست في أجازة عيد الغفران ولا يتواجد في تل أبيب إلا عدد صغير من الوزراء مما أحر عملية التصديق على قرار استدعاء الاحتياط، ونجحت القيادة المصرية في تحقيق هدفها من تأخير عملية استدعاء الاحتياط لحين الاستيلاء على خطوط حاكمية في عمق سيناء.

المشكلة الخامسة: عنصر المفاجأة، وقد تحققت المفاجأة من خلال سرية التخطيط والحشد، وتنظيم

وحين سُئل الجنرال أريئيل شارون بعد الحرب عن ما فاجأه في الحرب، أجاب: الجندي المصري، فالجندي المصري في حرب ٧٣ كان على درجة كفاءة عالية ولديه إصرار على تحقيق النصر وحكى كيف أصابه الجنود المصريون خلال معاركه في سيناء حيث كان يقود سرية دبابات (١١ دبابة) على محور الإسماعيلية وأثناء تقدمه فوجئ بوجود ٧ جنود من الصاعقة المصرية يتنقلون من تبة لأخرى، ويحملون قواذف (آر ب ج) وقال أنه أخذ قراراً بالاستمرار بالتقدم متهاوناً بهؤلاء الجنود الذين قاموا بتدمير ٧ دبابات من سريته وأصيب هو في هذه المعركة ونقل إلى مستشفى بئر سبع، وقال أنه يجب على الجيش الإسرائيلي في أي حرب قادمة أن يخشى الجندي المصري الجديد، وهذه الحكاية كان يحكيها عن المجموعة ١٣٩ صاعقة، التي منعت قوات شارون من محاصرة الجيش المصري.

المشكلة الرابعة: سرعة استغلال النقص العددي للقوات الإسرائيلية، وتعد التعبئة في الجيش الإسرائيلي إحدى نقاط الضعف التي تم استغلالها في حرب أكتوبر، فالجيش الإسرائيلي يبنى فكرته على وجود ٢٥٪ من قواته قوات عاملة و٧٥٪ قوات احتياط يمكن تعبئتها جزئياً أو كلياً خلال ٤٨-٧٢ ساعة. ولذلك كان التخطيط على سرعة استيلاء القوات المصرية على خط المضائق (الجدى - متلا - سدر) قبل تنفيذ الجيش الإسرائيلي أعمال التعبئة وصد قواته خارج منطقة المضائق في العراق، حيث يكون هدفاً سهلاً لعناصر قنص الدبابات.

كانت من أبرز الاعترافات التي أقر بها مدير المخابرات العسكرية الياهو زعيرا، أن الرئيس أنور السادات كان يعتمد تنفيذ مناورات سنوية وإعطاء إيجاء بأنه يستعد لتنفيذ عملية هجومية. لقد سربت القيادة المصرية للجيش الإسرائيلي معلومات وعودته

من خلال التحقيقات مع بعض الأسرى أن رئيس أركان الجيش الثالث عرف بالحرب قبل الحرب بيوم ونائب قائد الدفاع الجوي في الجيش الثالث عرف بأمر الحرب في لحظة نشوبها. (من أقوال الياهو زعيرا في التحقيقات).

الخطوة الثانية، كانت إخفاء قواعد الصواريخ التي ستدخل الحرب، ليس فقط عنا وإنما عن المصريين أنفسهم أيضاً. هذه القواعد دخلت في المناورة التي تمت في أول أكتوبر، وفي ٦ أكتوبر فقط تحولت المناورة إلى عمليات حقيقية.

الخطوة الثالثة، هو خلق التضليل الفعّال، وليس الإخفاء فقط. وقد استند زعيرا في أقواله إلى «الأستاذ محمد حسنين هيكل الذي وضع إعلان في صحيفة الأهرام من أجل تضليلنا، بناءً على طلب من وزير الحربية المصري، بشأن الحج. وأنا أدعو ذلك تضليلاً فعّالاً».

في الختام، يمكن القول إنه بعد مرور ٥٢ عاماً على الحرب، ما زالت نتائج الحرب سياسياً تتعمق كل يوم على الأصعدة كافة، محلياً وإقليمياً ودولياً، وتنعكس على مكانة مصر وقدرة قواتها المسلحة، فقد أكدت استحالة سياسة فرض الأمر الواقع، واستحالة إجبار شعوب المنطقة، كما أثبتت أيضاً أن الأمن الحقيقي لا يضمّن التوسع الجغرافي على حساب الآخرين. من هنا، عززت حرب أكتوبر من مفهوم الأمن القومي العربي وأعلنت من التضامن العربي في وجه الأخطار الاستراتيجية التي تهدد وجوده.

خطط خداع دقيقة على المستويات المختلفة تشير إلى عدم نية الجيش المصري القيام بالهجوم، وكان من أبرز خطط تحقيق المفاجأة هي اختيار توقيت تنفيذ الهجوم، وخلال التحقيقات مع الجنرال الياهو زعيرا مدير المخابرات العسكرية قال: "إن خطة الخداع المصرية تعتبر أكبر نجاح على المستوى الاستراتيجي للجيش المصري"، واعترف زعيرا للقاضي أجرانات بأن المخابرات بنت تقديرها على ثلاث فرضيات رئيسية وهي:

١- إن مصر لن تحارب قبل أن تؤمن مجالها الجوي ضد الطيران الإسرائيلي.

٢- مصر لن تحارب قبل أن يكون لديها ٥ أسراب من الطائرات الروسية من طراز ميغ ٢٣ حتى تتمكن من ضرب العمق الإسرائيلي.

٣- هذه الفرضيات كانت مرتبطة بفرضية ثالثة وهي أن سوريا لن تخرج في حرب شاملة إلا إذا خرجت مصر معها ولذا كان التركيز على الجبهة المصرية.

ووفقاً لتحقيقات لجنة أجرانات قال زعيرا: وفقاً لتقديري، لقد أرادت القيادات المصرية والسورية أن تبقي لنفسها حتى اللحظة الأخيرة على خيار عدم خوض الحرب. ومن ثم، سواء في سوريا أو مصر اتخذت ثلاث خطوات.

الخطوة الأولى، الإخفاء التام لنية الحرب على كل المستويات حتى على المستويات العليا، حتى اللحظات الأخيرة. على سبيل المثال، أنا أعرف



أكتوبر ٧٣: ذاكرة النصر والوعي المطلوب

د. أيمن السيد عبد الوهاب

مدير مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية

فالأجيال الجديدة من الحروب أصبحت لا تعتمد فقط على الأسلحة التي أصبحت أكثر خطورة وتدميراً، ولكنها أصبحت جزءاً من منظومة متكاملة لتغيير بنية وشكل العلاقات وتفاعلاتها الدولية، فالعولمة الاقتصادية والثقافية لا تنفصل عما أحدثته الثورة التكنولوجية وما يتوقع من تطور الذكاء الصناعي من تركيز على هوية الإنسان وكيانه بعد أن اخترقت أفكار العولمة الكثير من الثقافات والقيم والأفكار المرتبطة بالدولة وسيادتها، وعلاقتها بتشكيل ما يسمى بالمجتمع العالمي والمواطن العولمي وتوظيف الليبرالية المالية والذكاء الصناعي والثورة التكنولوجية في زيادة الفردية والمادية والنمط الاستهلاكي.

بل إن ضراوة تلك الحروب سوف تتزايد مع تنامي درجات الاستقطاب الثقافي بين النموذج الغربي الراسخ الواسع الانتشار، وبين نموذج آسيوي صاعد وفي مقدمته النموذج الصيني، لتضعنا أمام جملة من التحديات التي لا تقتصر على مصر والمجتمعات النامية، ولكنها ستفرض نفسها داخل العديد من المجتمعات الغنية والمتقدمة. هذه التحديات تفرض أهمية تنشيط الذاكرة التاريخية الوطنية لمواجهة هذا الغزو الثقافي والقيمي، والاستناد للهوية الجمعية، وتقوية البنيان الاجتماعي، كسبيل للتقليل من حدة «تسونامي» التغيير الذي يجتاح العالم ثقافياً وعقائدياً وقيماً.

أولاً: التاريخ والهوية في زمن الإبناك

حرب أكتوبر تحمل في سيورتها الكثير من الدروس والمعاني الدالة على عمق وصلابة الشخصية المصرية، ورسوخ قيمة الأمة ودولتها الوطنية، فهي امتداد طبيعي لحركة التحرر الوطني، ورفض الهزيمة أو الانكسار، والتصدي للإرادات الدولية الراضية

نصر أكتوبر ١٩٧٣ يكتسب خصوصيته وأهميته من جوهره ومدلولاته النفسية والشخصية المرتبطة بالهوية المصرية وصلابة المجتمع والدولة، فكان رفض الهزيمة وتحويلها لكتلة من الغضب والمقاومة الإيجابية أول ما كشف عنه هذا النصر، والدرس الأعمق المتوافق مع حيوية الذاكرة الوطنية ومفهوم الأمة الراضية للاحتلال ومقاومته أياً كان الثمن والتضحية، فالقدرة على تجنب الانكسار والشعور بالإحباط وتجاوز الصدمة، عبر بوضوح عن الوعي الشعبي بأهمية استدعاء التاريخ وتنشيط الذاكرة الوطنية التي شكلت جانباً من تكوين الإنسان المصري اجتماعياً وثقافياً وقيماً، فاختلف العدو أو الزمن لا يشكل تغييراً في مسار التحرر الوطني وما أنتجه من صلابة في البنيان الاجتماعي المصري.

كشف النصر أيضاً وما صاحبه من تخطيط وعلم ومعرفة وتضحية وتكلفة على مدى ست سنوات، عن قدر ما عبرت عنه هذه السنوات من قدرة على اكتشاف الذات المصرية وتجديد روحها، فالاعتراف بالهزيمة عام ١٩٦٧ شكل خطوة بناء صحيحة لإعادة فهم المستجدات ومتطلبات الانتصار، جنباً إلى جنب مع إحياء روح المقاومة، والثقة في الذات، وتنشيط الذاكرة الوطنية.

كشف النصر كذلك أن الهزيمة في معركة لا تعني هزيمة الحرب، وأن الانتصار في معركة لا يعني الانتصار في الحرب، فرغم انتهاء الحرب بمفهومها التقليدي، إلا أن رحاها ما تزال تدور حتى الآن وإن اتخذت أشكالاً مختلفة. فالحرب تجاوزت صورتها التقليدية المثلثة في عدو ظاهر يسعى لاحتلال الأرض والسيطرة على مقدرات وموارد الدولة، فقد أصبحت أكثر شراسة ومجالاتها أكثر اتساعاً، حيث اشتملت على أنواع جديدة من الاحتلال بالسيطرة على العقول والأفكار الدافعة لاختراق المجتمعات وخلقها بنيانها الاجتماعي.

اللغات الأجنبية ومرجعيات ونظرة مختلفة، فهو يستند للروايات الأكثر شيوعاً والأكثر إتاحة والتي قد لا تكون الأكثر صدقاً، مما يثير الكثير من اللبس والضبابية حول أحداث وواقع شكل وجدان ورؤية أجيال لتاريخهم وحضارتهم مما ينتج الفجوة بين الأجيال ورؤيتهم لمسارات التاريخ الوطني.

فالوعى بالتاريخ واستحضاره لا يعنى التعلق بالماضى ومحاولة إسقاطه على الحاضر، ولكن يعبر عن تجسيد لرؤية الأمم والمجتمعات لنفسها وهويتها، كما أن الجانب الوطنى من الذاكرة التاريخية يعبر عن روح ومكنون الجانب الصلب من المجتمع، فهو لا يقتصر على ذاكرة جماعة ولكن يعبر عن التوجهات الحاكمة والقناعات الراسخة والمسارات والتضحيات والاختيارات الشعبية التي حافظت على روح الأمة وتماسكها.

الذاكرة الجمعية تعتمد على الحفظ والتذكر والاستدعاء كثنائية متكاملة لتشكيل الذاكرة وتنشيطها باستمرار، فتلك الثنائية لا تقتصر على الذاكرة الوطنية ومسارات التحرر الوطنى، ولكن نسعى للتعامل مع بعض الأحداث والوقائع من منظورها الاجتماعى تاريخياً، فهي ليست أحداثاً مجردة من سياقها الإنسانى والعاطفى، ولا من الانحياز والانتقاء للمحطات الماضية فى التاريخ الوطنى للدولة والمجتمع ولا تتجاهل موجات الضعف والتخلف والاحتلال التي عصفت بالدولة، ولكننا نقف أمام محطات تاريخية معبرة عن العمق الحضارى ومساراته الوطنية الممتدة منذ قرون. فتاريخنا المكتوب والذي يعود إلى ما يزيد عن الخمسة آلاف سنة، يعطى الحق لهذه الدولة ولشعبها بالافتخار بعمقها الحضارى والإنسانى، كما أنه يعطى الالتماس والتفهم لمراحل التاريخ التي حملت فيها أثمان الانهيار والسقوط.

أو المحجمة لمشاريع النهوض المصرى (مشروع محمد على، ومشروع يوليو ١٩٥٢)، أو تلك القوى العالمية الساعية لإعادة هندسة المنطقة وفقاً لمصالحها، مثل مشروع الفوضى الخلاقة الذى اجتاح المنطقة ولا تزال تداعياته مستمرة منذ عام ٢٠١١.

فرمزية النصر ترتبط بعدم القدرة على اختراق الأمة المصرية حتى فى لحظات ضعفها، وأن الصمود والنهوض يقترن دائماً باستيعاب المتغيرات والمتطلبات، فكانت خطة الخداع الاستراتيجى، وتحطيم أسطورة الجيش الذى لا يقهر، ودك خط بارليف، ومعركة المنصورة الجوية، وموقعة تبة الشجرة، ومواجهة الثغرة، وغيرها من الملاحم والصورة المقترنة بتضحيات الجندى المصرى وكفاءته.

الذاكرة التاريخية الوطنية لا ترتبط بمناسبات ولا بإحصاء السنوات، ولا باسترجاع الذكريات للتفاخر أو استخلاص الدروس والخبرات، ورغم أن جميعها أهداف وعوامل دافعة لتمييز المجتمعات والدول وتجسيد هويتها ومسارات تطورها، ولكن يبقى الوعى بأهمية الذاكرة الوطنية وترسيخها فى عقل ووجدان الإنسان وهويته فى مقدمة عملية البناء وترسيخ المجتمعات والدول، وخاصة فى لحظات التحولات الكبرى التي تنعكس بالضرورة على الأشخاص، فحالة الارتباك والاضطراب التي تتعلق بالهوية فى زمن العولمة والتحول الإدراكى والمعرفى مع الذكاء الصناعى، تثير العديد من التحديات المرتبطة بكتابة التاريخ والمرجعية التي تحملها المصادر المتعددة التي تتيحها شبكات التواصل الاجتماعى، وانعكاس ذلك على الذهنية الفكرية لأجيالنا الراهنة والمستقبلية، فالقدرة على الفرز والوعى والحكم على الروايات المتعددة سوف تكون من الصعوبة بمكان، لاسيما وأن المتاح على شبكات المعلومات يحكمه

جمال عبدالناصر لمنبر الأزهر عام ١٩٥٦، جميعها صور تؤكد التلاحم الشعبى الذى تجسد فى الحرب والمقاومة ودعم المجهود الحربى خلال حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر، وما شهدته يناير ٢٠١١ ويونيو ٢٠١٣ من محاولات لزرع الفتنة المجتمعية فكان استرجاع أشعار شوقى وحافظ إبراهيم وأغانى سيد درويش وغيرهم صورة حية وتجسيدا للهوية الوطنية الجامعة، تلك المحطات المضيئة التى يتم استرجاعها لمواجهة محطات وأحداث شهدت توترات واهتزازات مجتمعية، تشير بوضوح لأهمية تنشيط الذاكرة الجمعية بشكل مستمر، كسبيل لتعزيز تلك العلاقة الارتباطية بين الحدث التاريخى ووعى الأفراد بالقدر الذى يساهم فى تنشيط الذاكرة الوطنية وفى القلب منها الهوية الذاتية والمجتمعية.

ثانياً: روائد تنشيط الذاكرة

١- التاريخ والهوية: نقش تاريخ مصر على جدران المعابد حفظ التاريخ، وكشف عمق الحضارة وفلسفتها وعبر بوضوح عن هوية المصريين، ورسخ فى أعماق الذهن المصرى أهمية توحيد الأمة، وقد شكلت قضية الاستقلال ومقاومة المحتلين أحد أوجه التعبير عن الذات تجاه الغريب، ومقوماً حاكماً لأركان بناء الدولة الحديثة وحركتها الوطنية مثال أحمد لطفى السيد ودور حزب الأمة (أول حزب ينادى بالهوية المصرية) ومصطفى كامل والحزب الوطنى، وسعد زغلول ومطالبته بتوحيد الأمة، ورفع شعار التعليم لمقاومة الجهل والمستعمر، ودمج الحركة النسائية فى قضية التحرير، ونص دستور ١٩٢٣ على لفظ المصريين، فتجديد الهوية واستيعابها للهويات والثقافات الفرعية والوافدة كان أهم ما يميز الهوية الوطنية الجامعة، ولذا حملت الذاكرة التاريخية المصرية الكثير من الشواهد المعبرة عن

من هنا كان التركيز على قضية التمسك بالأرض والاستقلال والتحرر الوطنى كمحدد واضح لهوية ومركزات الشخصية المصرية، التى ترفض وتقاوم ما يفرض عليها، بل أو يتعارض مع استقلالها مهما طال الزمن وقست وطأة المحتل أو الغريب المتعالى الساعى لتشويه تلك الهوية، ولا يعنى ذلك أن تلك الهوية أو الشخصية ظلت جامدة، بل العكس.

فقد تطورت الشخصية المصرية واكتسبت مقوماتها عبر الاختيار والانحياز الثقافى والدينى والقيمى، وعبرت عنه بوعى الأمة الواحدة المتجانسة، وحرصت على ترسيخ ما تتطلبه مقومات تماسك بنيانها، وهو ما تترجمه الكثير من التفاعلات والأحداث التى فرضت نفسها على المجتمع عبر التاريخ كواقع وتحد، وتعبر عنه كلمات بسيطة عميقة المعنى والدلالة مثل: «مصر للمصريين»، «يحيا الهلال مع الصليب»، «والدين لله والوطن للجميع»، و«شيعى الهوا سننى المذهب»، و«وطن بلا كنائس أفضل من كنائس بلا وطن». فهذه الكلمات ليست مجرد شعارات ولكنها تعبير حقيقى عن جوهر الذاكرة الجمعية التى تنشط وقت الأزمات أو فى لحظات تهديد النسيج الوطنى ووضع مفهوم الأمة المصرية على المحك.

فاسترجاع هذه الذاكرة فى لحظات الشعور بالخطر يعكس ترسخ التجارب التاريخية ودورها فى تنشيط مخيلة المصريين أياً كان مصدر الخطر داخلى أم خارجى، فمقاومة الفرنسيين أو البريطانيين أو الإسرائيليين، وما شهدته حركة عرابى ودور عبدالله النديم ومرقص نبيه، وتشكيل الوفد المصرى ودور واصف بطرس غالى وجورج خياط وآخرين بجانب سعد زغلول، وما ترجمه صعود القمص سرجيوس ليخطب فوق منبر الأزهر أثناء ثورة ١٩١٩، ومقاومة العدوان الثلاثى وصعود الرئيس

ورؤى مخالفة عن واقعنا، وبالتالي تظهر أهمية التعليم والثقافة وسبل تنشيط الذاكرة الداعمة للشعور بالثقة والمصداقية والافتخار والعمق الحضارى والهوية المصرية.

٤- حماية الذاكرة التاريخية الوطنية والوقوف على رواياتنا المتعددة، ودعم سبل المحافظة وتنشيطها تتطلب مزيداً من الاهتمام من جانب مؤسسات الدول ومنظمات المجتمع الأهل بحيث لا يقتصر على الاهتمام بالمتاحف بل يجب أن يمتد لتفعيل دور ومكانة جهات مثل: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، والجمعية الجغرافية، ومكتبة الإسكندرية (الذاكرة المعاصرة)، وأرشيف الدولة المصرية، ودار المخطوطات والوثائق، والجهات المعنية بحماية التراث الشعبى والثقافى والعمرانى، وأن يتم الاستفادة من التطورات التكنولوجية فى المحافظة ونشر المعرفة بهذا التاريخ.

التنوع الثقافى والتراثى المصرى هو أحد مميزات الشعب المصرى، ولذا يكتسب الوعى بالتاريخ معانٍ وفهماً أعمق بمساراته ورواياته المتعددة، وسبيلاً لفهم مسارات تطور المجتمع، وبناء الشخصية المصرية، ومحددات معرفة جيل جديد بمكنون وجوهر هويته.

المساهمات الوطنية لغالبية الفئات والقوى المصرية، بالقدر الذى لا يجعلها حكراً على جماعة أو فصيل سياسى.

٢- الذاكرة الجمعية والتنشئة الاجتماعية: تعبر عن مساحة المشترك بين مكونات المجتمع، وانعكاساتها الإيجابية على النظرة للماضى والحاضر والمستقبل، وطبيعة الروافد المغذية لكافة هويات وذكريات الجماعات المكونة للوطن، بحيث تعكس الشعور بالولاء والانتماء والمواطنة ووحدة الهوية الوطنية الجامعة لباقي الهويات الفرعية. من هنا تأتى أهمية عملية بناء وصياغة الذاكرة التاريخية وطريقة تناولها خاصة مع تعدد الروايات وما تشهده من مخزون شعبى ومجتمعى كبير من البطولات والتضحيات والأساطير.

٣- الوعى الجليل بالتاريخ الوطنى وحركة التحرر ومراحل النضال والتضحيات، وهى مسألة ليست من الرفاهيات أو القضايا التى يمكن تأجيلها، فحالة الاغتراب والاستلاب الثقافى والنفسى التى تضرب بعمق فى نفسية قطاع ليس بالقليل من أجيال «زد وألفا» سوف تترك بصمات عميقة فى رؤية وهوية ونظرة هذا الجيل للدولة والمجتمع، فهذا الجيل الرقمى يستقى معارفه من مصادر ذات ثقافة وقيم





ملحمة حرب أكتوبر المجيدة في الدراما المصرية

أ.م.د. مريم وحيد

أستاذ العلوم السياسية المساعد،

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة وجامعة الجلالة

استمر إنتاج الأفلام التي تناولت الحرب مثل «حكايات الغريب» و«كتيبة الإعدام» و«إعدام ميت» و«أيام السادات» و«حائط البطولات» و«أسد سيناء» و«يوم الكرامة» و«الطريق إلى إيلات» و«الممر». وكانت هذه الأفلام تدور في قالب سياسي أو اجتماعي سياسي. وقد تناولت أفلام مثل «أغنية على الممر» و«الطريق إلى إيلات» و«الممر» و«يوم الكرامة» بعض العمليات العسكرية التي تمت في فترة حرب الاستنزاف قبيل حرب أكتوبر.

ومن أوائل الأفلام التي تم إنتاجها فيلم «الوفاء العظيم» و«أبناء الصمت» و«الرصاصة لا تزال في جيبي». وقد تم تصوير الأفلام الأولى على الجبهة، بل إن بعض مشاهد هذه الأفلام تم تصويرها أثناء حرب أكتوبر أو بعدها مباشرة لتنقل الصورة الحقيقية لما تم في الواقع على أرض المعركة^٥.

تناولت الأفلام عدداً من الدلالات الاجتماعية الأساسية مثل التلاحم بين الشعب والجيش قبل وأثناء المعركة وبذل المواطنين جميعاً الغالي والنفيس من أجل تحقيق نصر أكتوبر. من هذه الأفلام فيلم «الرصاصة لا تزال في جيبي». ومن الأفلام شديدة الرمزية لحرب أكتوبر فيلم «حكايات الغريب» قصة الكاتب جمال الغيطاني، وهو فيلم يعبر عن الملحمة الوطنية من أجل الاستعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣، ويتضمن أحداثاً تاريخية ما بين نكسة ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣. فتدور أحداث الفيلم حول ثلاثة أصدقاء يعانون من الانهزامية وتسري فيهم روح الهزيمة واليأس بعد الهزيمة أمام العدو.

وكثير من الأفلام أيضاً سلطت الضوء على معارك حربية وقعت قبل الحرب مباشرة وأسهمت في رفع الروح المعنوية للجنود أثناء حرب أكتوبر ومن هذه الأفلام فيلم «الطريق إلى إيلات» الذي تدور أحداثه

مسلسلات إذاعية عن حرب أكتوبر... العمر لحظة وأكتوبر يا آخر الحروب وأم الشهيد

في مجال المسلسلات الإذاعية على سبيل المثال، تم إنتاج العديد من الأعمال مثل مسلسل «العمر لحظة» و«أكتوبر يا آخر الحروب» و«فرسان الحب والحرب» و«صياد الجواسيس» و«الصفقة» و«لقاء الأبطال» و«العبور» و«أم الشهيد». كانت الدراما الإذاعية بمثابة السلاح القوي في تشكيل الرأي العام ودعم القيادة الجديدة. وقد اختار المسئولون في الإذاعة الروايات التي تناولت البطولات العسكرية وحوادثها إلى حلقات إذاعية مثل اختيار رواية «العمر لحظة» للكاتب يوسف السباعي التي تحولت إلى مسلسل إذاعي من إخراج محمود يوسف، وبطولة: صلاح ذوالفقار وماجدة ومحمود عزمى ومديحة حمدي^٦.

السينما وحرب أكتوبر... حتى آخر العمر والوفاء العظيم والرصاصة لا تزال في جيبي

بعد اندلاع الحرب، سرعان ما تم إنتاج العديد من الأفلام التي تناولت النصر العسكري العظيم الذي حققته مصر في أيام قليلة. كما تناولت الأفلام التحول من نكسة ١٩٧٦ إلى النصر العسكري في حرب أكتوبر ١٩٧٣. وسرعان ما ظهرت على الشاشة قصص البطولات الحربية. ومن الأفلام التي تم إنتاجها فيلم «الرصاصة لا تزال في جيبي» و«العمر لحظة» و«بدور» و«حتى آخر العمر» و«الوفاء العظيم» و«أبناء الصمت». فبعد حرب أكتوبر مباشرة، تم إنتاج فيلم «الرصاصة لا تزال في جيبي» عام ١٩٧٤ لحسام الدين مصطفى، و«الوفاء العظيم» حلمي رفلة عام ١٩٧٤، ثم «بدور» لنادر جلال عام ١٩٧٤، و«أبناء الصمت» لمحمد راضي عام ١٩٧٤، ثم «حتى آخر العمر» لأشرف فهمي عام ١٩٧٥، و«العمر لحظة» لمحمد راضي عام ١٩٧٧^٧.

٢٣ يوليو ١٩٥٢ وصراعاته مع مراكز القوة بعد أن تولى منصب الرئيس وانتصاره في حرب أكتوبر ١٩٧٣ حتى استشهاده في حادث المنصة.

وفقاً لتترات الفيلم، يستند إلى كتابين هما «البحث عن الذات» للرئيس السادات و«سيدة من مصر» لزوجته السيدة جيهان السادات. وقد اعتمد الفيلم بشكل كبير على تناول عدد كبير من الأحداث السياسية في عصر السادات والسيرة الذاتية التي كتبها الرئيس بنفسه. وقد صاغ السيناريو والحوار الكاتب أحمد مهبجت.

المسلسلات التلفزيونية... رأفت الهجان نموذجاً

تزرخ السينما والدراما التلفزيونية بالعديد من الأعمال التي تتناول حرب أكتوبر المجيدة أو فترة حرب الاستنزاف. وقد خلّدت الدراما المصرية ذكرى نصر أكتوبر في مسلسلاتها مثل «رأفت الهجان» و«دموع في عيون وقحة»، و«السقوط في بئر سبع» و«الحفار» و«وادي فيران» و«العميل ١٠٠١» و«حرب الجواسيس».

وقد كان مسلسل «رأفت الهجان» الذي استعرض حياة العميل رأفت الهجان من أبرز تلك المسلسلات التي لاقت نجاحاً جماهيرياً كبيراً. ففي أواخر الثمانينات وأوائل التسعينيات من القرن العشرين كان ملايين المصريين يلتفون حول التلفزيون في موعد إذاعة المسلسل الذي كان يُذاع في شهر رمضان المبارك. ومن المعروف أن المصريين أكثر متابعةً للمسلسلات في رمضان. وتدور قصته حول البطل المصري الذي دخل إسرائيل تحت اسم ديفيد شارل سمحون، وكان لديه شركة سياحة تُسمى «ماجي تورز» مثلت الغطاء الذي من خلاله استطاع جمع المعلومات عبر تجنيد بعض العملاء وإرسالها إلى المخابرات المصرية، حيث ساهم في تحقيق النصر العسكري لمصر في حرب ١٩٧٣.

إبان حرب الاستنزاف قبل حرب أكتوبر، حيث يتناول تدمير السفينتين الحربيتين الإسرائيليتين «بيت شيفع» و«بات يم».

أغنية على الممر..... وتعيش يا ضحكة مصر

تعددت الأفلام التي تناولت مرحلة التحول من الهزيمة إلى النصر، مثل فيلم «أغنية على الممر»، والذي يجسد كل معاني الإصرار والعزيمة للجنود على خطوط المواجهة مع العدو. ويستعرض الفيلم أحلام وآمال الجنود من محافظات شتى وإصرارهم على الانتصار على إسرائيل بأية صورة.

فهذا الفيلم تم تصويره أثناء حرب ١٩٦٧ وفي أرض سيناء يجد خمسة جنود أنفسهم محاصرين في أحد الممرات الحيوية بعد أن مات كل أفراد الفصيلة أثناء المعارك. ينفصل الجنود عن العالم، وقد تركوا في الأساس أهلهم وأحبابهم لتأدية الواجب على الجبهة، وتقوم القوات الإسرائيلية بالهجوم على الممر ويستشهد أربعة منهم.

ومن ضمن الأغنيات الشهيرة في الفيلم أغنية «وتعيشي يا ضحكة مصر» كلمات الشاعر عبد الرحمن الأببودي، «أبكي.. أنزل.. أموت / وتعيشي يا ضحكة مصر.. وتعيش يا نيل يا طيب / وتعيش يا نسيم العصر.. وتعيش يا قمر المغرب / وتعيش يا شجر التوت... أبكي.. أنزف.. أموت / وتعيشي يا ضحكة مصر».

أيام السادات..... البحث عن الذات

بلا شك، يُعد فيلم «أيام السادات» من أبرز الأفلام التي تناولت حرب أكتوبر المجيدة. الفيلم يتناول قصة حياة الرئيس الراحل محمد أنور السادات رجل الحرب والسلام، مستعرضاً مشوار حياته منذ مولده ومشاركته كأحد الضباط الأحرار في ثورة

خاتمة، لا شك أن هذه الأعمال الفنية سلّطت الضوء على أهمية تنمية الحس الوطني وحب الوطن وحث الشباب على الحفاظ على الوطن. والجدير بالإشارة هنا أن إنتاج فيلمين أو ثلاثة، فضلاً عن إنتاج مسلسلين أو ثلاثة كل عام تركّز على غرس قيم الانتفاء والولاء وأهمية الحفاظ على الهوية المصرية تحديداً لدى الشباب والأطفال يكتسب أهمية خاصة، لأن ذلك له دور كبير في تشكيل وعي أجيال قادمة تتواصل كثيراً على وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة وترغب في رؤية الأعمال الحديثة التي تستخدم تقنيات التكنولوجيا الحديثة من إضاءة وتصوير ومؤثرات صوتية وبصرية، فيمكن استخدام هذه التقنيات الحديثة لإنتاج أعمال تعبر عن القيم ذاتها في قوالب جديدة مع السعي أيضاً إلى إتاحة الأعمال الدرامية التي تم إنتاجها بعد الحرب مباشرة على المنصات الحديثة التي يتفاعل معها الشباب بشكل كبير حالياً.

الهوامش:

- ١- قدرى حفي، الإسرنيليون من هم؟ دراسة نفسية، القاهرة: مدبولي، ١٩٨٩، ص ص ٣٦-٣٧ .
- ٢- مصطفى القسبي، أبرز الأغاني الوطنية التي خلّدت ذكرى انتصارات أكتوبر، الأسبوع، ٢٠٢٤/١٠/٦: <https://2u.pw/n9zc4X>
- ٣- خالد إسماعيل، الإذاعة المصرية حفظت معارك الوطن ضد إسرائيل في مسلسلات درامية، مجلة الإذاعة والتلفزيون، ٢٠٢٣/١٠/٢٠: <https://2u.pw/GjSJgJ>
- ٤- محمود قاسم، الفيلم السياسي في مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢، ص ١٦٤ .
- ٥- زينب عبد اللاه، المخرج منير راضي عن أفلام حرب أكتوبر : المعارك اتصورت لايف والمصورين اتصابوا ، الأسبوع، ٢٠٢٠/١٠/٦: <https://2u.pw/qKMmhlly1>
- ٦- محمود قاسم، موسوعة الأفلام العربية، القاهرة : دون ناشر، ٢٠٠٨.





النقطة ١١: كيف ساهم مركز الأهرام للدراستات السياسية في حرب ١٩٧٣؟

د. محمد عز العرب

رئيس وحدة الدراسات العربية والإقليمية
مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية

ما بعد هزيمة ١٩٦٧، بحيث يشارك في الجهد المبذول من أجل إعادة بناء مؤسسات الدولة عبر التحليل السياسي النقدي لأسباب الإخفاق، وكيفية تغيير الاستراتيجية العامة لإدارة الصراع الذي لم يكن عسكرياً فقط، وإعادة بناء الثقة وإزالة الآثار النفسية للهزيمة، إلى جانب تحدى إعادة بناء القوات المسلحة، وكذلك إدارة السياسة الخارجية في ظروف متغيرة.

ولذلك تركزت أهداف المركز في تلك الفترة على سد الفجوة المعرفية من خلال تدعيم الدراسات العلمية المتخصصة في الصراع العربي-الإسرائيلي، ونشر المعرفة بالعدو، وإمداد متخذ القرار بالمعلومات والتقديرات المستمرة للموقف. وكان المركز يعد في تلك الفترة (١٩٦٩-١٩٧٠) تقريراً يومياً للموقف لإرساله إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. وفي أحد الأيام التي لم يتم إرسال هذا التقرير للرئيس عبدالناصر، لأسباب غائبة عن ذهن سارد الواقعة الأستاذ حاتم صادق خلال لقائه بأعضاء مركز الأهرام في ٢٩ أكتوبر ٢٠١٨، سأل الرئيس عن «الورقة» مما يعكس دورية الاطلاع عليها من جانب الرئيس نفسه.

واستمرت هذه العلاقة في مرحلة ما بعد وفاة الرئيس عبدالناصر بحكم الصلة الوثيقة التي جمعت الأستاذ هيكل والرئيس أنور السادات، وصار اسم المركز «مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية» وفقاً للقرار الصادر في ١٦ مارس ١٩٧٢، وضم هذا المركز في إطار موحد، مهمة أربع مراكز كانت تعمل بالفعل داخل «المؤسسة» وهذه المراكز هي (مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية، مركز الدراسات التاريخية لمصر المعاصرة، مركز الدراسات السياسية والاقتصادية، مركز توثيق تاريخ جمال عبد الناصر).

إن واحداً من الشواغل الرئيسية لإدارة مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، خلال السنوات الماضية، يتمثل في تعميق الوعي بأهمية الذاكرة الوطنية لدى الأجيال الجديدة، عبر تسليط الضوء على أدوار مؤسسات وشخصيات في لحظات فاصلة من عمر البلاد، ومنها حرب أكتوبر ١٩٧٣، وهو ما يبرز أهمية العمل الجماعي القائم على التخطيط العسكري والتدقيق العلمي والتنسيق المؤسساتي. غير أن هناك إشكالية رئيسية تواجه الباحثين في التعامل مع بعض الأحداث للتوصل إلى تحليلات منضبطة وهي غياب المعلومات الموثقة في كتب أكاديمية أو دوريات علمية أو تقارير استراتيجية.

أبعاد هاجمة

على الرغم من أن صدور كتاب «خمسون عاماً في البحث والفكر والتنوير» في عام ٢٠١٩ بمناسبة اليوبيل الذهبي لمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، سد فراغاً للكثير من التساؤلات التي تخص إنشاء المركز وتطوره ومطبوعاته ودوره في المجال العام، لكن نقاطاً عديدة ستظل غائبة عن الرصد والتحليل بالقدر الكافي. وهنا، يتم اللجوء إلى الشهادات الحية لبعض من عاصروا تلك المرحلة، وكانوا أطرافاً رئيسية فيها. فقد كشفت حرب أكتوبر عن محورية دور مركز الأهرام للدراسات السياسية كعقل استراتيجي معاون للقيادة السياسية والمؤسسة العسكرية، على نحو ما تعكسه الأبعاد التالية:

١- إعداد الدولة لمسرح الحرب: بدأت فكرة رئيس تحرير الأهرام الأستاذ محمد حسين هيكل بضرورة تأسيس مركز يهتم بالإجابة عن تساؤل رئيسي وهو «لماذا حدثت الهزيمة وكيف يتحقق الانتصار؟»، وهو مرهون بدراسة إسرائيل وأطلق عليه حينذاك «مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية» في مرحلة

القوات المسلحة في حرب أكتوبر، مستعيناً برؤى وتحليلات خبراء مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية وهيئة الأرصاد المصرية، وتقرير آخر للمخابرات العامة المصرية يوضح الأعياد والمواسم الإسرائيلية والطقوس في كل عيد، والتي تكون فيها القوات المسلحة الإسرائيلية في حالة استرخاء. ولذا، تم الاستقرار على يوم عطلة كيبور - يوم الغفران.

٣- تقديم تقديرات مواقف يومية خلال المعركة: كان مركز الأهرام إحدى النقاط المركزية في إدارة حرب أكتوبر من خلال التحليلات اليومية التي كانت ترسل من مجلس الخبراء الذي ضم كوادراً بحثية رفيعة المستوى مثل الأستاذ حاتم صادق (المدير) والسفير سميح صادق (نائب المدير) واللواء حسن البدرى والأستاذ جميل مطرو والأستاذ السيد ياسين والدكتور علي الدين هلال (بعد عودته من البعثة العلمية في كندا مباشرة في أغسطس ١٩٧٣) والدكتور سامى منصور، وعمرو محبى الدين إلى جانب عدد من كبار العسكريين (مثل طه المجذوب، وضياء الدين زهدي) وغيرهم.

إذ اجتمعوا بصورة يومية سواء في مقر المركز أو في صالة التحرير بالصحيفة، حيث يقوم بتحرير الورقة في صورتها النهائية اللواء حسن البدرى (الذي كان على صلة وثيقة بما يجري على ساحة القتال) وترسل للأستاذ هيكل الذي يقوم بدوره بإرسالها، شفاهة أو كتابة، للرئيس السادات، وفقاً لرؤية «الأستاذ» الذي كان يعطي أهمية لعنصر السرية إلى حد كبير. وكانت الميزة التي أتاحت لباحثي وخبراء المركز حينذاك هي الاطلاع «من بعيد» على كيف تدار الحرب، دون المعرفة الدقيقة بالخرائط والرسوم والخطوط التي تستلزم السرية.

وأرسلت عدة تقديرات من جانب خبراء المركز في عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ فيما يخص الشروط الواجب توافرها في الداخل حتى يمكن لمصر تعبئة قوى المجتمع وشن الحرب وتحرير الأرض بعد سنوات من «اللاسلم واللاحرب»، دون أن يكون هناك علم من جانب خبراء المركز بتوقيت معركة الحسم، مع الأخذ في الاعتبار أن الرئيس السادات أبلغ الأستاذ هيكل بالتوقيت.

كما أن الأستاذ هيكل هو الذي كتب ما يسمى «أمر المعركة» وهو التوجيه الذي يعطيه رئيس الجمهورية للقوات المسلحة للقتال وبدء المعركة مع العدو والهدف من القتال الذي لم يكن تحرير سيناء كلها وإنما عبور القناة وتخطيم خط بارليف ودخول سيناء لعدة كيلومترات. ولعل ذلك يشير إلى المكانة الخاصة التي يعطيها الرئيس السادات للأستاذ هيكل والأهرام ومركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، وهي مكانة لا يمكن تصور أن تكون قد استحوذت عليها وسيلة إعلامية أخرى في علاقتها مع مؤسسة الرئاسة في أي مرحلة زمنية أخرى.

٢- الاشتراك في تحديد ساعة الصفر: ارتبط توقيت أو ساعة بدء عمليات الحرب بعدة متغيرات تتعلق بحالة الطقس والمد والجزر في قناة السويس وسرعة الرياح، واتجاه الشمس، وساعات الضوء المتاح بعد بدء العمليات لتحقيق العبور والتمركز على الضفة الشرقية قبل حلول الليل، بما يؤدي إلى إحداث قدر كبير من المفاجأة للعدو، لاسيما أن حسم ساعة الصفر جاء في مرحلة تالية لإعداد خطة الخداع الاستراتيجي.

وتلك كانت نتيجة دراسة وافية قام بها العقيد صلاح فهمي نحلة، رئيس فرع التخطيط بهيئة عمليات

الشرق الأوسط... منعطف دولي» (صفحة الرأي، ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣)، ومقال حاتم صادق: «إسرائيل والعودة للحرب» (صفحة الرأي، ٦ نوفمبر ١٩٧٣)، ومقال جميل مطر، والمذيل باسم «مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية» ودون شعار المركز، «التسوية الشاملة: رؤيتان ووسيلتان» (٧ نوفمبر ١٩٧٣).

ومن ذلك أيضاً الصفحة التي نشرها المركز في ٢٧ نوفمبر ١٩٧٣ - وإن كانت قد نشرت بدون شعار المركز- والتي أعدها المركز بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت، تحت عنوان «ماذا تقول الصحافة الإسرائيلية هذه الأيام؟»، ومقال جميل مطر: «مخاطر منحنيات التسوية» (صفحة الرأي، بدون شعار المركز، ١ ديسمبر ١٩٧٣)، ومقال حاتم صادق: «تفويض بالتوسع؟!» (صفحة الرأي، تحت شعار المركز، ٤ ديسمبر ١٩٧٣)، ومقال جميل مطر: «مؤتمر جنيف» (صفحة الرأي، بدون شعار المركز، ١٥ ديسمبر ١٩٧٣)، والمقالات الثلاثة المنشورة في ١٨ ديسمبر ١٩٧٣ (صفحة الرأي، وتحت شعار المركز) تحت عنوان رئيسي «خيوط من الضوء على مواقف غير عربية في مؤتمر جنيف»، الأولى كتبها حاتم صادق، تحت عنوان «رؤية الطرف الإسرائيلي»، والثانية كتبها جميل مطر تحت عنوان «أدوار أخرى في جنيف»، والثالثة كتبها أحمد عطية بعنوان «أوروبا طرف غائب».

ومع مطلع عام ١٩٧٤، حرص المركز من خلال مساهماته المختلفة على رصد أوضاع ما بعد الحرب. من ذلك، على سبيل المثال، مقال حاتم صادق: «مع مطلع ١٩٧٤ سنة جديدة في صراع ممتد» (صفحة الرأي، بدون شعار المركز، الأول من يناير ١٩٧٤)، ومقال محمد سيد أحمد في الصفحة ذاتها: «العرب والبروكياويات»، ومقال على

ومن ثم، لم يكن غريباً أن هيئة عمليات القوات المسلحة في ذلك الوقت كانت تطلق على مركز العمليات النقطة رقم ١٠، بينما مركز الأهرام الذي كان يمد قيادة القوات المسلحة بتقارير وتقديرات يومية أطلق عليه النقطة ١١ تقديراً للجهود التي قام بها، وهو ما كشفه الأستاذ ضياء رشوان - مدير المركز حينذاك- خلال الاحتفالية التي نظمها مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، في ٥ مايو ٢٠١٥، بمناسبة مرور ٣٠ عاماً على صدور التقرير الاستراتيجي العربي.

وتناولت تقديرات الموقف أبعاداً مختلفة ترتبط بالوضع السياسي والاقتصاد الداخلي والموقف العربي ومواقف القوى الكبرى (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والدول الأوروبية)، واستمر خبراء المركز في القيام بهذه المهمة اليومية حتى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣، وهو صدور قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٣٣٨، وفقاً لاقتراح مشترك من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، ودعا جميع الأطراف المشتركة في القتال الدائر حينذاك إلى وقف إطلاق النار بصورة كاملة، وإنهاء جميع الأعمال العسكرية فوراً في مدة لا تتجاوز ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار، وفي المواقع التي كانت تحتلها.

٤- كتابة مقالات تحليلية عن خيار الحرب والتسوية: في إطار اهتمام المركز بتحليل حرب أكتوبر ١٩٧٣ ونتائجها، نشر المركز مجموعة من المقالات التحليلية المهمة، جاء أغلبها بصفحة الرأي في صحيفة الأهرام. من ذلك، على سبيل المثال، مقال حاتم صادق: «حول أسلوب المفاوضات الأمريكي في فرض التسويات وعبرة من الشرق الأوسط» (صفحة الرأي، ١٠ أكتوبر ١٩٧٣)، ومقالتي جميل مطر: «الحصاد السياسي لأسبوع القتال» (صفحة الرأي، ١٣ أكتوبر ١٩٧٣)، و«قتال

الاجتماعية والجنائية. كما اهتم باحتمالات التحول إلى السلام مع إسرائيل بحيث أصدر كتاباً تحت عنوان «التوسع الإسرائيلي: عرض وتحليل لمشروعات السلام الإسرائيلية» لمؤلفه محمد فيصل عبدالمنعم.

كما أصدر المركز عدداً من الكتب المهمة حول الاقتصاد الإسرائيلي، والفكر الصهيوني، والصراع العربي-الإسرائيلي، والقضية الفلسطينية، والشخصية الإسرائيلية، وقرار الحرب في السياسة الإسرائيلية، ودور المساعدات الخارجية في بناء إسرائيل، واستيعاب المهاجرين، واتجاهات الصحافة الإسرائيلية. وقد شكلت هذه الكتب في مجملها - بجانب سلسلة الكتب الخاصة بالانتخابات الإسرائيلية - مكتبة متكاملة حول هذه القضايا، ومراجع أساسية حول واحد من أهم الصراعات الإقليمية الممتدة في العالم.

٦- لفت انتباه الدولة إلى توظيف سلاح البترول في الحرب: أبدى المركز اهتماماً بقضايا الطاقة، في العالم والمنطقة ومصر، بحيث صدر عن المركز كتاب «أزمة الطاقة في الولايات المتحدة الأمريكية» في عام ١٩٧٥ وألفه مصطفى خليل رئيس وزراء مصر الأسبق، وكتاب آخر تحت عنوان «الفوائض البترولية العربية وإمكانيات تدفقها إلى مصر»، الصادر في عام ١٩٧٧، وألفه طه عبدالعليم.

وقد ذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل في مؤلفه «حرب الخليج: أوهام القوة والنصر»، الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر في عام ١٩٩٢ قائلاً: «كانت قضية استعمال البترول كسلاح في معركة أكتوبر التي عهد الرئيس أنور السادات، إلى في الجانب السياسي من الإعداد للمعركة. وقد استأذنته أن استعين في موضوع البحث بوحدة البترول في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام».

الدين هلال: «الانتخابات الإسرائيلية: قبل وبعد ٦ أكتوبر» (صفحة الرأي، وتحت شعار المركز، ٢ يناير ١٩٧٤)، ومقال السيد يسين: «حرب أكتوبر: الدلالات التاريخية والأبعاد الاجتماعية» (صفحة الرأي، وتحت شعار المركز، ١٢ أكتوبر ١٩٧٥).

٥- طرح سيناريوهات لمرحلة ما بعد سكوت المدافع: لم يتوقف دور المركز عند حرب أكتوبر بل استمر لما بعد الحرب، والسير في اتجاه السلام، على الرغم من المنعطفات الحاسمة التي واجهها في مرحلة ما بعد خروج الأستاذ هيكل من الأهرام إثر خلافه مع الرئيس السادات، وهو ما أشار إليه الكاتب الصحفي الأستاذ أحمد بهاء الدين في مؤلفه «حواراتي مع السادات» الصادر عن دار الهلال. وكان المركز مواظباً على إصدار كتب ونشر تحليلات في صحيفة الأهرام تناول الصراع العربي-الإسرائيلي، فضلاً عن الاهتمام بدعم أواصر التعاون مع المؤسسات البحثية الرصينة في مجال الدراسات الإسرائيلية والفلسطينية منذ فترة مبكرة.

وعنى المركز أيضاً بدراسة وتحليل الانتخابات البرلمانية في إسرائيل، وأهم الظواهر والتحويلات السياسية والحزبية المرتبطة بها، وتداعياتها المختلفة على التوازنات داخل إسرائيل، وعلى مسار الصراع العربي-الإسرائيلي والقضية الفلسطينية. وقد شارك في كتابة وتحرير هذه الكتب نخبة متخصصة من باحثي وخبراء المركز في مجال الشؤون الفلسطينية، والمعنيين بتطور النظام السياسي الإسرائيلي، والصراع العربي-الإسرائيلي.

وأصدر المركز كتاباً مهماً تحت عنوان «حرب أكتوبر... دراسات في الجوانب الاجتماعية والسياسية»، في عام ١٩٧٤، وهو نتاج تعاون مع المركز القومي للبحوث

وأضاف هيكل: «كان رئيس وحدة الطاقة في المركز هو الدكتور مصطفى خليل، الذي كان نائباً لرئيس الوزراء، ووزير المواصلات ثم للصناعة. ثم ترك الوزارة وقبل مشكوراً دعوة مني للانضمام إلى أسرة الأهرام. وقد التقيت مع الدكتور مصطفى خليل صباح يوم ٢٨ أغسطس ١٩٧٣، وناقشنا احتمالات استعمال البترول في أي معركة مقبلة مناقشة معمقة وتفصيلية. وكان الدكتور مصطفى خليل، هو الذي أعد تصوراً كاملاً لمواجهة هذه الاحتمالات، قدمته إلى الرئيس السادات، يوم ٣٠ سبتمبر، وكان التقرير من ست صفحات».

النفر الجبلي

خلاصة القول، إن ما قام به باحثو وخبراء مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ يدعو للفخر، من جانب أجيال عديدة، وخاصة التي سمعت ولم تر لحظات التحول من مرارة الهزيمة إلى نشوة الانتصار إلا في رحيق الكتب وعبر موجات الراديو وعلى شاشات التلفزيون بحيث تشارك الأجيال الجديدة في أي معركة يخوضها الوطن، سواء كانت مواجهة عسكرية أو اقتناص نقاط في مباراة تنموية أو حفاظ على ذاكرة مؤسسية.





مركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام، يسعى من خلال نشاطه إلى نشر الوعي العلمي بالقضايا الاستراتيجية العالمية والإقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأي العام المصري والعربي بتلك القضايا، وأيضاً بهدف ترشيد الحوار السياسي العام وعملية صنع القرار في مصر والعالم العربي .

للحصول على إصدارات المركز

الإدارة العامة للتوزيع: مؤسسة الأهرام، شارع الجلاء، القاهرة- جمهورية مصر العربية

Tel: +202- 27703331 / +202- 27703930 / +202- 27703898 / +202- 27705127

Email: subsc@ahram.org.eg

ولمعرفة نقاط التوزيع، اضغط على التالي:

<https://ahramstore.ahram.org.eg/CallMe.aspx>

وللشراء والاشتراك الإلكتروني اضغط على الرابط التالي:

<https://ahramstore.ahram.org.eg/Index.aspx>

أو الاتصال بالمركز مباشرة - مؤسسة الأهرام، شارع الجلاء، القاهرة- جمهورية مصر العربية

Tel: +202- 27705129 / +202- 27705552 - Mobile: +20- 1558129699

Email: acpss@ahram.org.eg